

خصائص الفعل اللغوي عند جون أوستين

الدكتورة : ليلي سهل
 قسم الآداب واللغة العربية
 كلية الآداب واللغات
 جامعة بسكرة (الجزائر)

Résumé:

Les actes de paroles, qui ont été objet de pragmatique chez J AUSTIN, forment un secteur de recherche linguistique sans être majeur, néanmoins on a constaté l'intercession entre pragmatique et actes de parole.

Bien qu'AUSTIN n'ait pas pu arriver à établir une théorie d'acte de paroles, il a déterminé, des concepts centraux pour y arriver.

ملخص:

تعدّ الأفعال اللغوية مجالا من مجالات البحث اللساني التداولي، وإن لم تكن أهم هذه المجالات على الإطلاق، فقد كان بدء الحديث عن الأفعال الكلامية عند جون أوستين هو بداية الحديث عن التداولية، فأنضح الارتباط بين الموضوعين وارتبطت الجهود المقدمة حولها في البداية بجهود هذا الفيلسوف الإنجليزي. وإذا كان أوستين لم يستطع أن يحقق ما كان يسعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، إلا أنه وضع بعض المفاهيم المركزية في النظرية. لنرى كل ذلك في هذه الورقة البحثية.

يمكن الإشارة إلى البدايات الأولى للأفعال اللغوية التي ارتبطت بدراسة القضايا المنطقية في إطار دراسة أقسام الكلام مع الفلاسفة اليونان وبخاصة "أرسطو". وفي العصر الحديث وتحديدًا عند "كانط" وقعت الصيغة الخبرية تحت طائفة نقد مؤداه أنّ هناك جملا لها هذه الصيغة، لكنّها لا تقبل الصدق والكذب، وإنما بالتالي تخرج من مجال المنطق والفلسفة. ونتيجة لهذا النقد تكوّن الاتجاه الموضوعي الذي عمل على إزاحة جزء كبير من الجمل التي تقبل الصدق والكذب.¹

وإنّ مفهوم الأفعال الكلامية مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا.² ويعدّ الفعل اللغوي "المكوّن الأساسي لنظرية لغوية كانت فاعلة في توجيه البحث اللساني ومتفاعلة مع غيرها من النظريات، أرسى دعائمها الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين ثم طوّرها من بعده جون سيرل. وهو فعل ينخرط في شبكة المفاهيم التي تضمّن تحقّقه وإنجازه. فيعرّفه مانغونو Mangonu بأنه "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه غايته تغيير حال المخاطبين."³

و جاءت نظرية أفعال الكلام للفيلسوف الإنجليزي جون أوستين⁴ لتجسد موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة من سياق خطاها اللغوي المؤسّساتي، إضافة إلى ما وصفه أوستين بالاستحواذ أو التسلّط المنطقي القائل بأنّ الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية، وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هي مجرد أشكال متفرّعة عنها. ويؤكد أوستين بأنّ "الجملة الخبرية ومنذ سنوات عديدة قد خضعت لعناية خاصة، وعولجت من منظور جديد مما جعلها توصف أحيانا بالمفوضات الخبرية الإيهامية. وينطلق في نظريته من انتقاد الرأي القائل بوجود أقوال صحيحة نحويا، ولكنّها تفتقد إلى دلالات منطقية. ويصرّح انطلاقا من ذلك أنه إذا كانت كل الأقوال لا تحتوي على معنى هي التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، فما بال تلك الدالة على الاستفهام والأمر والنهي أين يمكن تصنيفها؟"⁵

وإنّ مصطلح الأعمال اللغوية مثير باعتباره يدلّ في المقام الأول على حدث الكلام في حدّ ذاته، أي إنتاج ملفوظ شفوي حقيقي، في حين إنّ استعماله في سياق نظرية الأعمال اللغوية هو استعمال أكثر تجريدا.⁶ "ويقع مفهوم الأفعال الكلامية في موقع متميّز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصوّر المعاصرين، ويشكل جزءا أساسيا من بنيته النظرية بتصريح العلماء الغربيين المؤسّسين للتداولية أنفسهم، وقد أضحت نواة مركزية لكثير من البحوث التداولية."⁷

فعندما ألقى الفيلسوف جون أوستين محاضرات وليام جايمس عام 1955، لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة

اللغة، ونجح في ذلك. بيد أن محاضرات وليام جيمس ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية، وستمثل فيها قطب الرحي طوال ثلاثين سنة. وكانت غاية بقية المحاضرات التي ألقاها أوستين سنة 1955 وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف إلى وصف الواقع، فكل الجمل عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك. ولقد أطلق أوستين على هذه الفرضية المتعلقة بالطابع الوصفي للجمل تسمية موحية هي الإيهام الوصفي، وأفرد لها محاضرات وليام جيمس لمناقشتها ورفضها.⁸

كما يلاحظ أن الحديث عن علاقة الأفعال الكلامية بالأدب والنظرية الأدبية لم يبدأ مع أوستين وإنما بدأ مع سيرل في أعماله المتأخرة، ونشط مع الجيل الثالث من أمثال جريس Grice وفان ديك Van Dyck، لكن مع تطور البحث التداولي واتساعه وتعميق البحوث حول الأفعال الكلامية بدأت أهمية هذين الموضوعين تظهر، وتتضح في المجال الأدبي.⁹ فلقد قبل نقاد الأدب فكرة الإنجازية بوصفها أحد الأشياء التي تساعد على تمييز خصائص الخطاب الأدبي، وأكد المنظرون طويلا على أننا يجب أن نعنى بما تفعله اللغة مثلما نعنى بما نقوله، وأن مفهوم الإنجازي يقدم تبريرا لغويا وفلسفيا لهذه الفكرة، وأن هناك صنفا من المنطوقات تفعل شيئا ما في الغالب إن المنطوق الأدبي مثل الإنجازي لا يشير فقط إلى الحالة التي كانت عليها الأمور سلفا، فهو يخلق الحالة لأمره أو شؤونه التي يشير إليها في العديد من الوجوه:

وبساطة شديدة يحدث أو يوجد الشخصيات أو أفعالها

يحدث أو يوجد الأفكار والمفاهيم التي ينشرها¹⁰

وتما يؤكد الترابط بين الأفعال الكلامية واللسانيات التداولية، أن الأفعال الكلامية تكاد تتضمن ظواهر المجالات التداولية الأخرى، وتكاد تعادل التداولية من حيث الهدف العام وهو الاستعمال اللغوي في التواصل الإنساني، فليس بغريب أن يعدّ جون أوستين كما قال العلماء أبا للتداولية.¹¹ ولقد استمد بذور نظرية أفعال الكلام ومقومات وجودها في محاضراته التي ألقاها في أوكسفورد ما بين سنتي 1954، 1952 ومحاضرات أخرى ألقاها في هارفارد سنة 1955 و نشرت بعد وفاته بعنوان كيف نفع الأشياء بالكلمات.¹² حيث شكّلت أفكاره في نظرية أفعال الكلام المرحلة الأولى التأسيسية لها، حيث ساهم في إرساء قواعد لهذه النظرية، وتحديد عدد من المفاهيم الأساسية فيها، وخاصة مفهوم الفعل الإنجازي بيد أن ما قدمه لم يكن كافيا لتقديم نظرية كاملة للأفعال الكلامية، فبإتي بعده تلميذه جون سيرل مستفيدا من محاضراته، فأدخل بعض التعديلات على نظرية الأفعال الكلامية في سبيل تطويرها مقدّما مجموعة من الاعتراضات على أستاذه.¹³ حيث يحتل جون سيرل

موقع الصدارة بين أتباع أوستين ومريديه، فلقد تناول نظرية أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما المقاصد والمواضع.¹⁴

والشائع بين الفلاسفة واللغويين هو أنّ اللغة وظيفة أساسية تتمثل في نقل المعلومات، وبالتالي تصبح اللغة مجرد وسيلة لتمثيل الواقع أو الذهن، غير أنّ الكثير من الفلاسفة ومنذ عهود بعيدة أشاروا إلى أنّ جلّ الأقوال في اللغة العادية لا تستعمل للوصف أو الإخبار. أما علماء العربية فقد قسموا الكلام إلى خبري وإنشائي وجعلوا الكلام الخبري خاضعا لمعيار الصدق والكذب، والكلام الإنشائي غير خاضع لهذا المعيار والعلم الذي تخصص فيه علماء العربية في تحليل الخطاب، انطلاقا من علاقته بالسياق هو علم المعاني. ولقد بقيت أفكار أرسطو نافذة وقوية إلى القرن التاسع عشر، وكان أول من عارض أفكاره هذه الفيلسوف توماس رايد Thomas Raid، الذي طرح فكرة الأفعال الاجتماعية في مقابل الأفعال الأحادية، أما أول درس منظم لأفعال الكلام فكان من قبل الفيلسوف الألماني أدولف رايناخ Audolf Raineckh الذي تناول الوعد والطلب والأمر تحت مستوى الأفعال الاجتماعية، وكان الكتاب الأول الذي حمل مصطلح نظرية لأفعال الكلام كتاب بوهلر Buhler "نظرية اللغة"، واستنادا إليه فإنّ كل استعمال للغة لابد وأن يظهر واحدة من الوظائف: التمثيل أو التعبير أو الابتداء.¹⁵

وانطلاقا مما سبق أصبح مفهوم الفعل الكلامي "نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنّ كل منطوق ينهض على نظام شكلي دلالي إنجزي تأثيري، ويعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجزية كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثمّ فهو يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المتلقي اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثمّ إنجاز شيء ما".¹⁶

كما يرى العلماء والدارسون أنّ موضوع الأفعال الكلامية ظهر في الأفق الفلسفي والتداولي ثم اللغوي بفضل الفيلسوف الإنجليزي جون لانجشو أوستين إذ إنه أول من نبه إليها من فلاسفة اللغة في الغرب بصورة واضحة، عندما كان يحاول دحض ما سماه المغالطة الوصفية، فعرض للفرق بين المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية. والمنطوقات الأدائية بذرة الأفعال الكلامية وأهم نموذج لها. و ظل يتطور فيها ويحسّن من أساقها حتى آخر حياته من خلال المقالات والمحاضرات، ومن خلال كتابه الشهير الذي طبع بعد وفاته، وهو كيف ننجز الأشياء بالكلمات.¹⁷

إنّ اتجاه أوستين اللغوي في مجال الدراسات التداولية ومذهبه الخاص، يرى أنّ وظيفة اللغة هي استعمال وإنجاز لمجموعة من الأفعال اللغوية، مما جعله يتجاوز مستوى الجملة والنظرة التي ترى في الجملة أداة للتواصل الإنساني إلى الأفعال اللغوية باعتبارها أصغر وحدة للتواصل. ولقد ستمي هذا

الاتجاه بالاتجاه الأوستيني نسبة إليه، حيث يرى أنّ وظيفة اللغة هي استعمال وإنجاز مجموعة من الأفعال اللغوية باعتبارها أصغر وحدة للتواصل، ومن هنا تفرّع اتجاه أوستين في دراسة اللغة إلى ثلاثة اتجاهات هي:¹⁸

- دراسة الأعمال في ذاتها.
- دراسة الأعمال عن طريق المحادثة وسبيل المتكلم في التعبير عن نفسه، بصورة تجعل المخاطب قادرا على فهم مقصده باستعمال عمليات ذهنية معيّنة وأشهر أعلامه غرايس Grice.
- دراسة متضمنات القول والافتراضات المسبقة والمحاججة، وأشهر أعلامه ديك رو Ducrot. وكمتمداد للاتجاه الأوستيني ظهرت مجموعة من التيارات التي تنطلق من أفكار أوستين في الكثير من القضايا. وقد فتح باب هذا الموضوع أمام زملائه وتلاميذه ليتناولوه ويتوسعون فيه ويتعمقون في بعض جوانبه، ويعدلون كثيرا من آراء أستاذهم. ولهذه الأسباب كلّها يعد أوستين مؤتسسا لهذا المجال التداولي.¹⁹

ويمكن تلخيص جهود وإسهامات أوستين في الآتي:

أولا : التمييز بين المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية

ميّز أوستين بين نوعين من الأفعال أو الجمل أو المنطوقات اللغوية هما:

- المنطوقات التقريرية التي تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة.
 - المنطوقات الأدائية التي تنجز بها الأفعال، أي تؤدّي بها أعمال في أثناء نطقها، حيث يقترن فيها النطق أو القول بأداء الفعل أو إنجازه، وهي لذلك لا توصف بصدق ولا بكذب، وإنما تكون بحسب شروط معيّنة موقّفة الأداء أو غير موقّفة.²⁰
- كان هذا الجهد أو التمييز الذي قدّمه أوستين بداية التأسيس لنظرية الأفعال الكلامية، فقد فترق به بين نوعين من المنطوقات في داخل الجملة الخبرية، وكان قد نبّه كذلك إلى أنّ الجمل الطلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب.. الخ لا تخلو من معنى، وينبغي الاهتمام بها ودراستها.²¹ وبهذا الصنيع "فتح أوستين الباب أمام دراسة جميع المنطوقات اللغوية، لأنّها تعبّر عن معنى، وفتح الباب أيضا أمام ما سمي فيما بعد بالأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، بل إنّه فتح الباب كذلك أمام كثير من المنطوقات الخبرية التي لا تصف وقائع العالم أو تثبت حالات فيه، ولكنّها تفيد معاني وأغراضا أخرى إنجازية، فتح الباب أمامها لكي تدخل، هي الطلبيات في الأفعال الكلامية. فهذا أهمّ جهد قدّمه أوستين في هذه المرحلة. وعلى الرغم من الجهود التالية التي قام بها أو التي قام بها غيره في مجال الأفعال

الكلامية، إلا أنّ ذلك يعدّ خطوة حاسمة في التنبيه إلى الأفعال الكلامية الإنجازية".²² ويتضح ما قدّمه في الآتي:

1: بداية الالتفات إلى المنطوقات الأدائية : فلقد تنبّه إلى أنّ هناك استعمالات للغة العادية جديرة بالملاحظة والدراسة، وأن تؤخذ وظائفها في الحسبان حتى في المجال الفلسفي، فقد كان الفلاسفة لا يهتمون إلا بالجملة الخبرية التي تشير إلى الوقائع في العالم الخارجي، أو تصف هذا العالم. فإذا طبقت دلالتها هذا الواقع حكم عليها بالصدق، وإذا لم تطابقه حكم عليها بالكذب.²³

حيث ذهب أوستين إلى أنّ الفعل الإنجازي هو فعل أدائي تؤديه أو نجزه في أثناء النطق به. أي أنّ القول هو أحيانا أداء الفعل، وذلك عندما جعله نوعا معارضا لأفعال أخرى لا يقصد من النطق بها أداء أعمالها التي تدل عليها، وإنما يقصد بها الوصف أو التقرير لشيء في العالم الخارجي، وكان ذلك قبل تحديده للفعل الإنجازي وسماتها الأفعال التقريرية، وكلا النوعين من المنطوقات يرد في صورة عبارة وصفية تقريرية في تركيبها، إلا أنّ الإنجازية متضمنة في دلالتها.²⁴

إنّ ما يذهب إليه أوستين في هذه المرحلة يشبه إلى حدّ بعيد ما فهمه بعض العلماء العرب من بعض الأفعال التي يمكن تسميتها بالإيقاعية، ومن هؤلاء أبو نصر الفارابي الذي صنف العبارات الكلامية الصادرة عن الإنسان إلى عبارات القول وعبارات الفعل أي الأفعال التي تتم بالأقوال.

وقد أنكر أوستين أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقا وإما كاذبا. ورأى أنّ هناك نوعا آخر من العبارات يشبه العبارات الوظيفية الخبرية في تركيبها، لكنّه لا يصف وقائع العالم ولا يوصف بصدق ولا كذب، كأن يقول رجل مسلم لامرأته "أنت طالق"، أو يقول "أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان"... الخ. فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بصدق أو كذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولاً، بل تؤدي فعلا، فهي أفعال كلام أو هي أفعال كلامية.²⁵

2 : خصائص المنطوقات الأدائية :

تتضح هنا الخصائص من خلال مقارنة النوعين المتشابهين في التركيب اللغوي، وهما المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية. فأهم ما يميّز المنطوقات التقريرية أنّها تنقل لوصف شيء أو تصويره أو سرد معلومات عنه، أي تتحدّث أن تنقل تقريرا عن العالم، فإذا كان التقرير أو الوصف مطابقا حكم على هذا المنطوق بالصدق، وإذا كان غير مطابق حكم على المنطوق بالكذب. هذا من حيث المعنى أو هدف الاستعمال، أما من حيث اللفظ أو الشكل والتركيب اللغوي فالمنطوقات التقريرية ترد كذلك في صورة الجملة الاسمية التي خبرها مفرد أو جملة اسمية، أو فعلية أو شبه جملة ظرفا أو جارا ومجرورا.²⁶

3: تعميق مفهوم الجملة الإخبارية التقريرية:

أدى التمييز بين المنطوقات الأدائية والمنطوقات التقريرية إلى تحديد مفهوم الجملة الخبرية التقريرية أو الإخبارية التقريرية وتعميق هذا المفهوم. ففي هذه المرحلة عمّق أوستين مفهوم الجملة التي تقبل الصدق والكذب، بحيث لم تعد مجرد جملة ذات صيغة خبرية، بل علاوة على ذلك يجب أن تكون وصفية مستقطعا بذلك من الجمل ذات الصيغة الخبرية التي لا يراد بها الوصف، بل يراد بها الفعل لتكون القسم الآخر من الجمل ذات الصيغة الخبرية، وهي الجمل الإنشائية أو الأدائية الإنجازية. ولعل ما قام به أوستين هنا يساعد في تحديد المنطوقات اللغوية التي يخلص الهدف من استعمالها إلى توصيل معلومة أو تبليغ فكرة أو معنى بعينه، أو وصف شيء أو موقف أو تقديم تقرير عنه. والمنطوقات التي تؤدي هذه الوظيفة اللغوية أو تقوم بها هي المنطوقات التقريرية الإخبارية التي حددها أوستين هنا.²⁷

ثانياً: تقسيم المنطوقات الأدائية إلى صريحة وأولية:

لقد تبين لأوستين أنّ تقسيمه الجملة إلى وصفية تقريرية أو إنجازية تبعاً لاشتغال الجملة على المعيار النحوي الأساسي، وهو وجود فعل مضارع مبني للمعلوم مسند للمفرد المتكلم في الزمن الحالي المثلث، تبين له أنّ هذا التقسيم غير جامع ولا مانع، فهناك جمل لا تشتمل على هذا المعيار وهي إنجازية، وهناك جمل تشتمل عليه وهي وصفية تقريرية.²⁸

ثالثاً: التمييز بين جوانب الفعل الكلامي الثلاثي:

وبالرغم مما يبذله "أوستين" من جهد في التمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية، فقد ظلّ يرجع النظر في هذا التقسيم حتى تبين له في النهاية أنّ الحدود بين هذين النوعين من الأفعال لا تزال غير واضحة، فعاد من حيث بدأ إلى السؤال كيف نتجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ فرأى أنّ الفعل الكلامي مركّب من ثلاثة أفعال تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، فهي ليست أفعالاً ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحداً وراء الآخر، بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر إلا لغرض الدراسة فحسب وهي:²⁹

1: الفعل اللفظي (فعل القول): ويتكون من النطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدّد هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب، وله مرجع يحيل إليه. ويشتمل الفعل القول بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة الصوتي، التركيبي، الدلالي. ولكن أوستين يسميها الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلّف مفردات طبقاً لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ وإحالات محددة فقولنا مثلاً: "إنها ستمطر"، يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا

ندري أي إخبار بأنها ستمطر أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة أم أمر بمجل مظلة أم غير ذلك إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.³⁰

ف فعل القول هو الفعل الذي يعني النشاط اللغوي الصرف، ويقصد بذلك الأصوات التي يخرجهما المتكلم والتي تمثل قولاً ذا معنى. ويعرفه أوستين بأنه نتاج جملة مزودة بمعنى ومرجع، وهذان العنصران يكونان الدلالة بالمعنى التقليدي للكلمة، ويتشكل هذا المعنى الأول من فعل الخطاب من ثلاثة عناصر يستدعي كل واحد منها الآخر بشكل تراتبي:

الفعل الصوتي: إنه ببساطة النطق بأصوات.

الفعل الوصلي: إنه إنتاج الكلمات أو التلفظ بها وفق قواعد صرفية ونحوية ولغوية صحيحة قصد إحداث الاتصال.

الفعل الإحالي المرجعي: هو استخدام هذه الكلمات لأداء معنى ذي مرجعية محدّدة.³¹

وتطلق تسمية متتالية صوتية على ما يلفظ خلال الفعل الصوتي، وتسمية وحدة معنوية على ما يلفظ خلال الفعل الوصلي (الاتصالي). إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنّ إنجاز الفعل الصوتي لا يعني بالضرورة إنجاز الفعل الاتصالي، فالببغاء يبتج متتالية صوتية (فعل صوتي) وليس وحدة معنوية على الإطلاق، ذلك أنّ لهذه الأخيرة بالضرورة معنى، فهي جملة سليمة مستمدة من كلمات المعجم ومن نحو اللغة.³²

2: الفعل الغرضي أو الإنجازي (الفعل المتضمن في القول): ويقصد به ما يؤدّيه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد والتحذير والأمر والنصح... إلخ، حيث قدّم أوستين في عمله الساعي للإتمام النظرية الكلامية مفهوماً آخر للفعل الكلامي نراه أوسع مما قدّمه في المرحلة السابقة، يقوم هذا المفهوم على الغرض الذي أريد التعبير عنه وإنجازه من خلال نطقي أو تلفظي بقول معين، فإذا كان الغرض الإنجازي من تلفظي هو نفس المعنى الحرفي للمنطوق المتلفظ به كالزواج والتسمية... إلخ وإذا كان كذلك فهو الفعل الإنجازي الصريح. وإذا كان الغرض الإنجازي أو القوة الإنجازية بتعبير أدق للفعل الغرضي من تلفظي غير ما يعنيه منطوق الفعل المتلفظ به كأن أريد بالمنطوق الخبري تهديداً أو نصحا أو تأكيداً أو تهويلاً، فهو الفعل الإنجازي الأولي، هذا بالإضافة إلى الأنواع والمجالات التي عرضها أوستين للأفعال.

ويقصد بذلك أن المتكلم حين يتلفظ بقول ما فهو ينجز معنى قصدياً أو تأثيرياً مقصوداً، وهو ما أسسه أوستين بقوة الفعل، وقد اشترط لتحقيق هذا المعنى الإنجازي ضرورة توفر السياق العرفي المؤسّساتي لغة ومحيطاً، وأشخاصاً. فعبارة من مثل "سأحضر لرؤيتك غداً"، يعتمد معناها الإنجازي الوعد على مدى تحقق شروطها، بحيث يكون المتكلم قادراً على الإيفاء بوعده، وأن ينوي فعل ذلك،

وأن يكون واثقا من أن المستمع يرغب في رؤيته، ذلك لأن انتفاء رغبة المستمع في رؤية المتكلم قد يجعل المعنى الإنجازي هنا من وعد إلى وعيد.

وقد لاحظ أوستين أننا ونحن ننجز فعل القول نقوم في ذات الوقت بإنجاز تلفظت تعطي بعدا دلاليا أساسيا لهذا الفعل، وحتى يضع تعريفا له عمل أولا على إبراز الكيفيات المتنوعة التي تستعمل وفقها الملفوظات فنحن:

نتساءل أو نجيب

نقدم معلومة أو ضمنا أو تحذيرا

نعلن عن قرار أو قصد

نتلفظ حكمة أو مثلا

نسي أو ندعو أو ننتقد

نحقق أو نصف³³

إن فعل الكلام الإنجازي يتحدد بكونه فعلا أنجز ضمن قول ما وليس بفعل ناتج عن القول، فعندما أقول: "أعد"، فإنني أنجز فعل الوعد ذاته، وهو قول يمكن توضيحه بواسطة صيغة إنشائية: "أطلب منك أن... تفعل" ذي خاصية اتفافية (اجتماعية-لسانية) تمنح الصيغة المستعملة في مقام معين قيمة إنجازية.³⁴

3: الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا. وهو ما يعمل على إحداثه رد فعل المخاطب.³⁵ ويسميه أوستين الفعل الناتج عن القول.³⁶

و يعني أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة مَحْمَلَةٌ بمقاصد معينة في سياق محدد، تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثرا عند المتلقي. فقول شيء ما يثير ردود أفعال وأحاسيس ومشاعر لدى السامع أو المتحدث أو حتى الحاضرين، ويمكن الحديث عن النية والقصد في إحداث هذا التغيير. بناء على هذا يمكن القول بأن المتحدث أنجز فعلا، والذي يعث بطريقة غير مباشرة إلى فعل القول والفعل الإنجازي، ويسمى هذا الفعل بفعل الكلام التأثيري.³⁷

وهكذا يصل أوستين إلى أن أفعال الكلام الإنجازية متعارف عليها، أما أفعال الكلام التأثيرية فهي غير اتفافية والغرض منها الوصول إلى هدف وإنتاج تبعات القول، مما يعني أن فعل الكلام التأثيري هو الأثر الذي يحدثه فعل الكلام الإنجازي في المخاطب.³⁸

ومن خلال ما سبق يمكن تلخيص ذكر أوستين في تقطين اثنتين:

النقطة الأولى: في رفضه ثنائية الصدق والكذب.

النقطة الثانية : بأن كل قول عبارة عن عمل.

فيرفض "أوستين" الصدق والكذب بالنسبة لجمال الإثبات التي وضعها المنطقة، ويلاحظ أن هناك جملا ذوات بنية مشابهة لجمال الإثبات، والتي يمكن للمتكلم أن يصطنع بها أشياء عديدة كالأمر والتقرير والتشبيه...إلخ. فبالنسبة للأقوال التالية : "أتمنى لكم سفرا ممتعا، أرجو منكم المعذرة" ، لا يمكننا وصفها بالصدق أو الكذب، إذ إن كل ما يمكن قوله هو أن هذه الأقوال قد تنجح أو تتحقق، أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أو لا.³⁹

وهناك من يقول أن الفعل اللغوي يحتوي حسب تحليل أوستين خلاف القول السابق على ثلاثة تشكل كيانا واحدا، علما أن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد.

1: فعل القول : الذي بواسطته يتفوه المرء بشيء ما، ويتفزع إلى ثلاثة أفعال فرعية.

أ- التصويبي : يتمثل في التلفظ أو إنتاج أصوات من مخارج صوتية معينة.⁴⁰

ب- التبليغي : يتمثل في كون هذه الأصوات تتوفر على صورة (كلمة) فضلا عن انتابها إلى لغة محددة.

ج- الخطائي : الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذوات دلالة معينة.

2: الفعل الإنشائي : فيتمثل في إنجاز عمل ما بإنتاج الفعل الإنشائي، ويتعلق الأمر هنا بتحقيق قصد المتكلم.

3: التأثيري : الذي بواسطته أحدث وجوبا رد فعل لدى المخاطبين.⁴¹

وخلص أوستين إلى الوصول إلى تقسيم جميع أفعاله إلى خمس فصائل كبرى :⁴²

- 1- الحكميات : وتتضمن إطلاق أحكام أو قيم على واقع ما مثل برأ، قيم،...إلخ
- 2- الإنفاذيات أو التمرسية : وتدل على استخدام الحق أو القوة أو النفوذ مثل أمر، نهى، وجه...إلخ
- 3- الوعديات أو التكليف : وتتضمن إفصاحا عن تية ما أو إلزام للنفس بتقديم وعد ما، مثل وعد، نذر، رهن، أقسم، عقد...إلخ
- 4- السلوكيات : وتتضمن إظهارا لحالات نفسية تجاه ما يحدث، أو تعكس سلوكيات اجتماعية مثل اعتذر، شكر، هنا، هجا ، مدح...إلخ
- 5- التثبيات أو العرضية : وهي تعكس صلة أحاديثنا بما نتحدث عنه بالمحاجة مثل ثبت، أكد، أنكر، أجب...إلخ

لقد قدم أوستين أشياء كثيرة كانت الأساس في تطور الحديث عن هذه النظرية أو عن جانب من جوانبها، حيث فتح الباب لزملائه وتلاميذه أن يطوروا فيها ويعدلوا منها ويزيدوا عليها، هذا هو الجهد الحقيقي، لأنّ البحث الفلسفي واللغوي يتقدمان خطوات واسعة بفضل ذلك، ومن ثمّ يعدّ كل إسهام قدمه ذا أهمية خاصة، فنبهنا أوستين إلى تحوّل في التفكير الفلسفي نحو اللغة واستعمالها،

وأدخل صميم البحث اللغوي الاهتمام بوظيفة من وظائف اللغة، والتي لم يكن يلتفت إليها كثيرا، وأدخل في البحث الدلالي ضرورة الاعتماد على السياق والموقف الاتصالي بصورة أفضل من دعوات السابقين أو المعاصرين له، وربط التحليل اللغوي باستعمال وليس ببنية اللغة، أي أنه أعطى قيمة حقيقية للكلام في مقابل اللغة أو اللسان عند دوسوسير.⁴³

خصائص الفعل الكلامي :

- فعل لغوي أو لفظي أو قولي : ولعل ذلك مفهوم بدهاه من عنوانه، لكن التأكيد على هذه الخصيصة مهم، لتمييز الإنجازات غير اللغوية عن الأفعال الإنجازية التي تتم باللغة أو بالقول. فتوجد أفعالا إنجازية غير كلامية كثيرة مثل: دق جرس الباب للإذن في الدخول، وعزف النغير وإشارات شرطي المرور، كلها إنجازات بحركة كاليد والذراع...الخ
- فعل إنساني: لأنه فعل لغوي ينبغي أن يكون إنسانيا أي صادرا عن الإنسان، ويتبع غايات معينة يختارها الإنسان لنفسه.
- فعل قصدي: أي يصح طلب المسؤولية عنه، وأحيانا ما يلتزم صاحب الفعل تجاه القانون والعرف الأخلاقي بأن يقدم التعديلات التي تبرر فعله، وإلا تعرّض للمساءلة أو العقوبة.
- فعل له معنى: وهذا المعنى لا بد أن يكون قابلا للفهم اشتراط المعنى في الحدث نتيجة كون الفعل صادرا عن إنسان، ويتبع غايات محددة، وله تية أو قصد ينتج عنه مسؤولية، ولأنه فعل متوجه به إلى متلق.
- فعل متوجه به إلى مخاطب أو متلق: ويعني ذلك وجود نوع من التعاون بين المتكلم والمتلقي، ويؤسس هذا التعاون على ما تعلمه الإثنان سابقا من استراتيجيات التخاطب وتواضع المحادثة أو عرفيتها، وذلك ضروري لفهم قصد المتكلم.
- فعل مقيد: وجاءه التقييد من كونه فعلا يمثل سلوكا تحكمه القواعد وتوجهه المبادئ المتعارف عليها.
- فعل خاضع للمواضعة والتعاقد: إذ يتوقف تحقيقه على مراعاة نظام التعاقد الاجتماعي بين الناس من جهة، وعلى استراتيجيات تحوّل للمتكلم إخراج مقاصده بالطريقة التي تمكن المتلقي من إدراك تلك المقاصد من جهة أخرى.

- فعل له طبيعة اجتماعية: وتتضح الخاصية الاجتماعية لهذا النمط من الأفعال الكلامية في الحقيقة القائلة بأننا نريد من خلال ذلك أن نغيّر تلك المعرفة والرغبات، ومن المحتمل سلوك المشاركين معنا في الحادثة.
 - فعل له طبيعة سياقية: لأنّ إدراك المقاصد يتوقّف على مدى انسجام المتكلم مع السياق بشكل عام، وعلى مدى انتباه المتلقي لهذا الانسجام.⁴⁴ ويلاحظ أوستين أنه توجد ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل:
 - إته فعل دال.
 - إته فعل إنجازي، أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات.
 - إته فعل تأثيري، أي يترك آثاراً معيّنة في الواقع، خصوصاً إذا كان فعلاً ناجحاً.
- ويقوم كل فعل كلامي على مفهوم القصدية، وتقوم مسألّة القصدية على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسّع في تفريغها وتعميقها التداوليون، حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة، فقد غدت قيمة تداولية نصية حوارية. وتعدّ مراعاة مفهومها العام وشبكته المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية. ويتأكد الربط بين العبارة اللغوية ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف سيرل الذي عمل على متابعة المشروع الفلسفي الذي بدأه أستاذه أوستين، فقد عدّ الغرض المتضمّن في القول عنصراً ومكوّناً أساسياً من مكونات القوّة المتضمّنة في القول.⁴⁵
- شروط نجاح الفعل الإنجازي:**
- توافر المواضع: على أن تشمل المواضع التلفظ بكلمات محدّدة من قبل أشخاص محدّدين وفي ظروف محدّدة.
 - في كل الحالات يجب أن يكون الأشخاص المحددون، وكذلك الظروف الخاصة مناسبة لتنفيذ وتحقيق الإجراء.
 - يجب أن يتم تنفيذ وإنجاز الإجراء أو الدعوى من طرف جميع المشاركين مرة واحدة وبطريقة صحيحة.
 - يجب أن ينفذ الإجراء حرفياً بالتام الكامل.

- الصدق: فعندما تتطلب المرافعة أو الإجراء أفكاراً أو أحاسيس، يجب على الأشخاص الذين ينجزون أثر المرافعة أن تكون لديهم النية والقصد في تبني هذه الأفكار والمشاعر.

- يجب على الأشخاص الالتزام بالنتائج.⁴⁶

فإذا فوّض شخص لاختيار اللاعبين لتكوين فريق كرة قدم واختار هذا الشخص عمر للعب

قائلاً :

اخترت عمراً للعب.

فيجيبه عمر:

أنا لا أَلعب

فإننا هنا أمام فشل الفعل الإنجازي، وذلك لانعدام التواضع، فالملفوظ الإنجازي أو الإجراء أنجز بالفاظ معيّنة صحيحة، ولكن الظروف والسياق الذي حدث فيه التلطف لم تكن في التمام، وكذلك الأشخاص الذين ينفذونه، لذلك نحن أمام فشل القول الإنجازي. وكذلك الحال إذا كان الأمر يتعلق بأحاسيس، "أهنتك" إذا صدر هذا الملفوظ في حين لم يبد على المتحدث أي انفعال أو سرور فالفعل الإنجازي فاشلاً أو أفكار : "أنصحك بـ، في الوقت الذي لا أعتقد أن النصيحة مفيدة"

القصد: أعدك، في الوقت الذي أكون متأكداً من عدم الوفاء بوعدتي

هذه الملفوظات الإنجازية تفتقد إلى عنصر الصدق وانعدام النية والقصد، وبالتالي كانت نتيجتها فاشلة.⁴⁷

وإذا كان أوستين لم يستطع أن يحقق ما كان يسعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال

الكلامية، إلا أنه وضع بعض المفاهيم المركزية في النظرية من أهمها:

- تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل.

- تمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها.

- تمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولي منها.

- تحديده للفعل الإنجازي الذي يعدّ مفهوماً محورياً في نظرية الأفعال الكلامية.

الهوامش والمراجع والمصادر :

- 1 نعان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، دط، 2006، ص195.
- 2 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص17.
- 3 دومينيك مانغنو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص07.
4. ينظر : قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012، ص47.
- المرجع نفسه، ص47، 48، 5
- 6 صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، ط1، 2008، ص76.
- 7 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص26.
- 8 آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغنوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص30.
- 9علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياق، ص27.
- 10 جوناثان ككر، مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة مصطفى بيومي عبد السلام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2003، ص135.
- 11 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياق، ص22.
- 12 نعان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص185.
- 13صلاح اسماعيل عبد الحق التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1993، ص230.
- آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص33، 14
- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص46، 47، 15

- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40. 16
- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 59. 17
- 18 نعان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، ص 172.
- 19 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 29.
- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43، 44. 20
- 21 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 30.
- 22 المرجع نفسه، ص 30.
- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 60. 23
- 24 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 23.
- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43، 61، 62. 25
- 26 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 32.
- 27 المرجع نفسه، ص 33.
- 28 جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق الدار البيضاء، دط، 1991، ص 79، 80.
- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 68. 29
- 30 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41، 42.
- 31 J.L.searle :sens et expression p 110.
- 32 قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 55.
- 33 J.L.searle :sens et expression ;Traduction Joelle proust.paris p112.
- 34 ibid, p 113.
- 35 الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992، ص 24.

- 36 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 42.
- 37 قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 57.
- 38 المرجع نفسه، ص 59.
- 39 الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 29
- 40 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 41.
- 41 الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.
- 42 علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 45- 49.
- 43 المرجع نفسه، ص 50.
- 44 المرجع نفسه، ص 25، 26.
- 45 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 43.
- j. L. Austin Quand dire cest faire. introduction Giles lane. Edition du seuil. 1970.paris.p38.
- 46 قلا عن قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 48
- 47 المرجع نفسه، ص 51.